الأهرام

المصدر: الاهرام

التاريخ: ١١ مايو ٢٠٠٤

ماحدث فى أبوغريب.. دراسة فى العقلية الأمريكية!

حينما نطالع الصور المفزعة التى بثتها وكالات الأنباء عن مظاهر التعذيب والوحشية البالغة والانتهاكات السادية والسافرة والخليعة التى تعرض لها السجناء فى سجن أبوغريب فى العراق فإن سؤالا مهما يطرح نفسه وهو: لماذا اقدم هؤلاء الجنود على فعلتهم هذه؟

د. حسين الشرقاوى

أستاذ بكلية طب الفم والأسنان . جامعة القاهرة

والإجابة السهلة تتجه دائما على نحو ما أشار الجنرال مارك كيميت نائب رئيس العمليات فى العراق أمام عدسات «سى بى إس» إلى أنها تصرفات فردية لاتمثل جموع قوات التحالف العاملة فى العراق، رغم أن تقريرا من الجيش الأمريكى نشرته صحيفة«لوس انجلوس تايم» أفاد بأن أعمال التعذيب كانت تتم بشكل منهجى ومقصود وعلى مدى العام الماضى كله (أهرام ٤/٥/٢٠٠٤) أو كما أكدت الجنرال الأمريكية جانين كارينسكى المسئولة عن السجون العراقية والتى تم تصوير جنودها وهم يضربون المعتقلين العراقيين بأن الجنود الذين قاموا بعمليات التعذيب هم أناس «أشرار» لابد من معاقبتهم (تم وقف هذه الجنرال هى وآخرين عن العمل دون توجيه أية اتهامات رسمية لهم ودون ذكر الأسماء أو الرتب وأعداد المتورطين، ويأتى هذا التصريح المغلف بالبراءة رغم أن تقريرا آخر نشرته «واشنطن بوست» أشار الى أن الجيش الأمريكى أرسل منذ شهرين متخصصين للعراق لتدريب وحدات السجون بقيادة الجنرال جيفرى ميلر القائد السابق لمركز الاعتقال فى جوانتانامو فى كوبا على رأس فريق من ٢٥ من هؤلاء المتخصصين لتدريب وحدات الشرطة العسكرية على ادارة هذه السجون!!).

ولكن الإجابة الصعبة تتطلب الغوص فى طبيعة العقلية الأمريكية ومدخلات تكوينها ومحاولة فهم الدوافع الحقيقية وراء هذه التصرفات التى تدخل فى مجال الحيوانية واللاإنسانية وتمثل استهزاء إنسان بأخيه الإنسان ليس فى حياته وجسده وآلامه فقط بل وبتاريخه وثقافته أيضا.

الخلفية التعليمية للجنود الأمريكيين: معظم الجنود الأمريكيين العاملين فى الجيش الأمريكى متطوعون من صغار السن فلايوجد تجنيد اجبارى هناك فى معظم الأوقات وعلى هذا فمعظمهم بعد الانتهاء من التعليم الثانوى يفضل الالتحاق بالجيش حتى يضمن وظيفة وموردا ماليا يتعيش منه خاصة أن التعليم الجامعى فى الولايات المتحدة باهظ التكاليف (يتكلف الطالب مصروفات الدراسة بالجامعة من ٢٠ إلى ٣٠ الف دولار فى العام الواحد) ولايقدر على الاستمرار فيه إلا الأغنياء أو الذين حصلوا على معدلات عالية فى دراستهم الثانوية تضمن لهم الحصول على منحة تعليمية، أذن فالتطوع فى الجيش بالنسبة لكثير منهم من متوسطى الذكاء والتعليم والفقراء وصغار السن يصبح المخرج الوحيد للحصول على وظيفة معقولة فى سن ١٨ سنة بدون مؤهلات تعليمية عالية وبدون خبرة فى سوق العمل بالاضافة إلى انها قد تؤمن للمتطوع نحو ١٦٠٠٠ الف دولار فى العام كمرتب سنوى بالاضافة إلى الامتيازات الاخرى المعتادة للعسكريين من علاج مجانى والانتقالات والسكن للمجند وعائلته ورغم أن هذا المبلغ لايعتبر مبلغا كبيرا بالنسبة لمستوى معيشة الأمريكيين فإنه يمكن ادخاره كله لانعدام بنود الصرف أثناء الخدمة وهو يدخل الجيش بغرض ادخار بعض المال حتى يتمكن من عمل مشروع خاص به بعد انتهاء مدة خدمته.

تأثير الميديا الأمريكية على الشباب: فقد اعتادت الميديا مثلا على تقديم مجموعة من الأشكال النمطية stereo types فالأفلام الأمريكية مثلا اعتادت تصوير العربى إما على أنه جاهل أو خائن أو لايشغل باله إلا النساء، والألمانى متعجرف متحجر المشاعر والهندى الأحمر يجب قتله لأنه بربرى ويهدد حياة الرجل الأبيض ولايذكر مثلا القيمة الحضارية لمشاركة العرب فى بناء الثقافة الإنسانية أو إسهامات الحضارة الألمانية فى الفنون والأدب والعلوم والتكنولوجيا وأن الهندى الأحمر كان يدافع عن وطنه وحريته أمام غزاة طغاة أكثر عددا وعتادا.

وتحاك المؤامرة الكبرى على عقلية هؤلاء الشباب حينما تهيئ لهم الميديا أنهم جاءوا إلى هذه البلاد البعيدة الذين لايعرفون شيئا عنها، وعن أهلها وثقافتهم وتاريخهم من أجل نشر الحرية والديمقراطية مثلما فعل سلفستر ستالونى فى أحد أفلامه وعندما اقتحم معسكرا للمعتقلين فى أحد بلدان شرق آسيا وحرر بمفرده رغم وجود عشرات من الحراس المدججين بالسلاح وبدون أن يصاب بخدش عدة مئات من المساجين المساكين الذين لاحول لهم ولاقوة والذين أصبحوا يدينون بالفضل للبطل الأمريكى الذى ضحى بنفسه من أجل إعلاء قيمة الحرية.

وعندما يذهب هؤلاء الشباب الذين جرى خداعهم بحجة أنهم ناصروا الحرية إلى العراق أو افغانستان ويفاجأ انه عليه ان يطلق النار على المدنيين والنساء والأطفال العزل من السلاح أو تدمير منزل على القاطنين فيه أو حرق غيط او تعذيب المعتقلين تحت تهديد السلاح للحصول على اعترافات مثلما بررت قيادة الجيش الأمريكى ما حدث فى سجن ابوغريب يكتشف قذارة الحرب وقسوتها وان البطولة الحقيقية تكمن فى قدرتنا على فعل أشياء تؤكد انسانيتنا وتمد يد العون للآخرين وليس فى إذلالهم واهانتهم وقتلهم ولعل قصة المجندة الأمريكية ميشيل ويتمير بنت الـ ١٩سنة التى سعت للسفر إلى العراق لولعها بالإثارة ولتكون بطلة مثلما تتمنى كل بنات سنها ولكنها فوجئت بأنها تحولت إلى إنسانة أخرى اكثر نضجا حينما وجدت فى العراق أن صوت الرصاص لايهدأ من حولها ويكاد يصيبها بالجنون وأنها لاتعرف من تحارب ولماذا تحارب وأن الحرب ليست لعبة ولابها إثارة كما شاهدتها فى الأفلام وإنما هى خوف وترقب دائم مما قد يحدث كما اكتشفت ايضا الوجه القبيح للاحتلال فلابطولة ولانبل ولاشرف، ففى إحدى دور الأيتام وجدت أطفالا بين ٩أشهر و١٣ عاما منهم معاقون ومرضى وأنهم قد يتركون ليلقوا حتفهم لانعدام الرعاية والأدوية بسبب الاحتلال الأمريكى الذى يمنع وصول الامدادات الى هذه المنطقة، تنازعها تعاطفها مع هؤلاء الأطفال وواجبها كجندية ولم يطل هذا التنازع فقد لقيت مصرعها أثر اشتباكات حامية وقعت بين الطرفين الأمريكى والعراقى فى ١٤/٤ الماضى مما حدا بعائلتها لمخاطبة الرئيس بوش وإلقاء المسئولية عليه وسياسته الخاطئة فى العراق وضرورة إنهاء هذه الحرب العبثية فى أسرع وقت.

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية